المعتصم باللّه المؤمن



بسم الله الرّحمن الرّحيم

وبه نستعين

...ابني الأعمى...

...قصّة حقيقيّة...

تأليف ورسوم:

المعتصم بالله المؤمن



أعمى.. هذه هي الكلمة الّتي فتح ابني سامي عينيه على الحياة - السّوداء من حوله- ليسمع نفسه يُوصَف بها أينما حَلّ (أقام) وأينما ذَهَب، لم يدرِ ما هو الضّوء حتّى يخاف من الظّلام، لم يبهره جمال الألوان حتّى يبْغِض ظلمة السّواد، لم يعرف كيف يمشي دون تعثّر حتّى يأمل أن يركض، لم يعرف معنى الرّسم حتّى يرغب بالتّلوين، لم يعرف ما هي الوسامة حتّى يسرّح شعره، لم يسعد بابتسامة أمّه يوماً ولا خاف من عبسة أبيه (وهو أنا).. لا استطاع أن يلعب كالأطفال ولا استطاع أن يكون من الكبار.. مسكينٌ كان ابني المرحوم سامي..



ولكن أتظنّون أنّه قضى عمره القصير جالساً دون تفكير؟!.. لا.. لقد حاول جاهداً أن يتعلّم لغة المكفوفين (العُمْيان)؛ لغة بْرَايْل، وهي اللّغة الّتي يقرأ بها المكفوف (الأعمى) الكلمات بلمس النّقاط البارزة كما في الصّورة، وصرت أبذل جهدي لأشتري له الكتب الخاصّة به، لم تكن متوفّرةً بكثرةٍ، وكان ثمنها مرتفعاً، وحتّى مظهرها لم يكن ملوّناً أو جميلاً ككتب الأطفال المليئة بالرسومات الملوّنة الّتي تعرفونها، كان مظهرها باهتاً باللّونين الأبيض والأسود؛ لا يبثّ (يعطي وينشر) الرّغبة بالقراءة، ولكنّ هذا لم يكن مهمّاً أبداً فابني العزيز سامي لم يكن يعرف أصلاً ماذا تعني الألوان حتّى يفتقدها!

كان يُمْضِي (يمرّ) أصْبَعَه الصّغير على تلك النّتوءات (النّقاط البارزة) ورأسه إلى الأمام ليَسْرَحَ (ينطلق) في عالمه الخاص، ونظراً لقلّة تلك الكتب كان يعيد كلّ كتابٍ عشرات المرّات والكرّات ليسلّي نفسه ويخفّف من وحدته.. **مسكينٌ كنت يا بُنَيّ!**.. وفي أحد الأيّام المشرقة من حياته الصّغيرة علّمته أمّه كيف يصلّي، وعلّمته أن يقرأ سور القرآن الّتي حفظها سابقاً أثناء الصّلاة، ولا أنسى كم فرح بها في ذلك اليوم وصار يتشوّق لسماع الأذان كي ينهض فوراً للصّلاة ويرتّل القرآن بصوته الطّفوليّ الجميل!





كانت **الصلاة** هي طريقه إلى الهرب من واقعه الأليم، كانت طريقته الوحيدة ليحيك (ينسج) لنفسه ثوباً خاصاً من **السّعادة**، فماذا يحدث لو أنّه حُرِم منها؟!.. ماذا يحدث لو لم يأخذه أخوه الكبير إلى المسجد كلّ يومٍ كما اعتاد دائماً؟!.. هذا ما عرفنا جوابه حين سافر أخوه الأكبر ليكمل دراسته وبقي هو وحيداً تترقرق دمعته الحزينة على خدّه النّاعم.. **مسكينٌ أنت يا بُنيّ**.. لا، لا أستطيع أن أتركه حزيناً، لا أستطيع أن أذهب إلى أصدقائي لنلهو ونضحك وهو يبكي في البيت.. إنّ **رحمة الأبوّة** تمنعني من تركه يقاسي البؤس!

وماذا أفعل إذاً؟؟.. ماذا أفعل برأيكم؟.. هل أترك أصدقائي ولا أذهب إليهم كي آخذه إلى المسجد؟، أم أتركه متجاهلاً آلامه ودموعه كي ألهو مع أصدقائي كالعادة؟.. لا أدري ما الّذي اخترتموه، ولكنّي اخترت أن أعطف على بنيّ الحبيب وآخذه إلى المسجد. لا أستطيع أن أصف لكم مدى الفرحة الّتي ظهرت على وجهه البريء حين أمسكت يده الصّغيرة ومضينا سويّاً إلى المسجد، كاد المسكين أن يطير من الفرح!.. يا إلهي!.. لم أكن أعرف أنّ الصّلاة تجعل الإنسان فرِحاً إلى هذه الدّرجة.. هذا ما فكّرت به وأنا أرقب بسمته الجميلة الّتي لم تفارق محيّاه (وجهه)!



منذ ذلك اليوم، صرنا نذهب سويّةً إلى المسجد لنصلّي جماعةً. وحقيقةً، إنّ سامي الصّغير لفت انتباهي إلى هذه السّعادة الّتي كانت غائبةً عنّي، فقد ذُقْتُ في تلك الأيّام الحلاوة الّتي يمنحها اللّه تبارك وتعالى للمؤمن الّذي يترك لذّة الدّنيا خصّيصاً ليؤدّي الصّلاة، كما فعلتُ حين تركتُ السّهر مع أصدقائي خصّيصاً لأجل الصّلاة.. سامحني يا ربّ، ها أنا ذا عدّت إليك لأتكلّم معك كلّ يومٍ بمحبّةٍ وأصلّي برغبةٍ بعيداً عن اللّهو والكسل!.. وكلّ هذا لأنّك يا ربّ وهبتني ابني العزيز سامي الأعمى لتريني أنّ السّعادة ليست في الثّرثرة والضّحك واللّهو، بل إنّما باستغلال الوقت بما يرضيك!



ولكن ماذ سيحدث لو لم يعد هناك سامي؟.. لو لم أعدّ مضطراًّ للذهاب إلى المسجد لأسعده؟.. هذا هو البلاء (الامتحان) الّذي أصابني حين أصيب سامي المسكين بمرضٍ أودى بحياته.. مات؟؟.. من يصدّق؟!.. لقد مات ذلك الطّفل اللّطيف واختفت ضحكته الظّريفة من حياتي.. يا إلهي، كيف نحتمل موته؟.. لم يكن باليد حيلة، إنّ الموت والحياة بيد اللّه الحكيم الّذي يستعملهما دائماً في مصلحتنا ليكونوا خيراً لنا!!



كنت دافناً وجهي بين يديّ كئيباً حين سمعت صوت الأذان يصدح (ينتشر) في الأجواء.. سامي.. أين أنت؟!.. ألا تريد أن تذهب إلى المسجد كعادتك؟!.. هذا ما همستُ به قبل أن أحزم أمري وأنهض قائلاً: " الآن فهمت حكمتك يا اللّه!!.. لقد رزقتني سامي وجعلته أعمى لتهديني به وتبعدني عن الضّلال الّذي كنت فيه، والآن بعد أن هديتني وصرت أحبّ الصّلاة انتهتْ مهمّته في الدّنيا فأخذتَه إلى جنّتك حيث يفرح الأولاد ويسعدون!.. **شكراً لك يا ربّ.. شكراً لك من القلب.. شكراً.. شكراً.. شكراً.. شكراً.. شكراً ..شكراً.. شكراً.. شكراً.. شكراً !!!!!!"**



...تمّت بفضل اللّه العظيم...